الأبعاد التاريخية في الخطب السياسية للولاة في العصر الأموي (41-132هـ/ 661-750م)

Historical dimensions in the political speeches of governors in the Umayyad era (41–132 AH/661–750 AD)

إعداد

أ.سارة على أحمد المسيري

باحثة ماجستير بقسم التاريخ شعبة (التاريخ الإسلامي)

أ.د/ إبراهيم محمد على مرجونة — **أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**

أ.م.د أسماء محمود شمس الدين — **أستاذ الأدب والنقد المساعد**

كلية الآداب – جامعة دمنهور.

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الثالث و الستون - يوليه -الجزء الثانى - لسنة 2024

الأبعاد التاريخية في الخطب السياسية للولاة في العصر الأموي

أ.سارة على أحمد المسيري

أ.د. إبراهيم محمد على مرجونة

أ.م.د أسماء محمود شمس الدين

مقدمة

إن كثيرًا من أبناء الخلفاء الذين صارت إليهم الخلافة بالوراثة عاشوا في القصور بين السرف والترف والغلمان فلم يصيبوا من فصاحة البداوة ما يخوّلهم ارتقاء المنابر فلما أُريدوا على ارتقائها لم يجدوا في حناجرهم ما يخاطبون به الناس بينما برع الولاة والأمراء والقادة حيث مواهبهم الفكرية والإدارية كانت تبوئهم منازل عالية فبرز منهم القادة والسياسيون والخطباء والبلغاء من طبقة زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي.[1] والمغيرة بن شعبة وعبيد الله بن زياد وغيرهم فقد جمع هؤلاء الولاة الخطباء بين حُسْن السياسة وفصاحة الخطابة فأينما توجهت إلى علم من العلوم الثلاثة: التاريخ أو الأدب أو السياسة وجدت مادة علمية غزيرة تفيض بعطائهم.

ومن المعلوم أن الخطب السياسية تميزت في العصر الأموي عن الخطب في غيره من العصور؛ لما فيه من أحداث سياسية نشبت عن معارضة قوية وأحزاب سياسية متنافرة أثرت في ارتقاء الخطابة التي خلّد نصوصها التاريخ حيث الثراء الفكري، والتوثيق الدقيق للوقائع التاريخية المصحوب ببراعة العرض وتدفق المشاعر الصادقة فضلًا عن إقامة الأدلة والحجج.

وترصد هذه الدراسة النصوص الأدبية السياسية المتمثلة في خطب الولاة، وتربط بينها وبين ما ورد في الروايات التاريخية ومقارنتهم ببعض لبيان مدي اتفاق أو اختلاف الوارد إلينا من وثائق وروايات، ودراسة النصوص الأدبية السياسية دراسة تاريخية باعتبارها منتج ثقافي مرتبط بالزمان والمكان

[1] غازي طليمات وعرفان الأشقر: **النثر في العصر الأموي**، ط1(دمشق، دار الفكر، 2010م)، ص107.

أولًا: خطبة للمغيرة بن شعبة والي الكوفة سنة(43هـ/663م).

بلغ المغيرة بن شعبة [2]أن الخوارج خارجة عليه وأنهم اجتمعوا إلى رجل منهم فقام المغيرة في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أُحبّ لجماعتكم العافية وأكفُّ عنكم الأذى، وأني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الحلماء الأتقياء فلا، وأيم الله لقد خشيت ألا أجد بدّا من أن يعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل، فكفّوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامّكم.[3]

وتروي الروايات التاريخية أن المغيرة ما إن انتهى من خطبته حتى قام إليه أحد رؤساء القبائل وقال: أيها الأمير أعلمنا بهؤلاء القوم فإن كانوا منا كفيناكهم وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة فأتاك كل قبيلة بسفهائهم ثم قال: أنا أكفيك قومي وليكف كل رئيس قومه.[4]

نجد في هذه الخطبة المغيرة يحذر أهل الكوفة من إيواء الخوارج حتى لا يؤخذ عامة الناس بذنبهم وبربط الخطبة مع ما ورد في المصادر التاريخية نجد أثرها في تغيير مجرى الأحداث التاريخية السياسية حيث تكفل كل رئيس قبيلة بقبيلته وتعهد كل منهم ألا يترك أحدا في قبيلته من الخوارج.

فلما علم بذلك الخوارج عزموا على الخروج من الكوفة ثم خرجوا منها حتى اقتتلوا خارجها قتالًا شديدا مع جيش المغيرة انتهى بهزيمتهم.[5]

ثانيًا: خطبة زياد بن أبي سفيان والي البصرة سنة(45هـ/665م) الشهيرة ب "البتراء".[6]

---

[2] المغيرة بن شعبة: هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها و ولّاه الكوفة، ولما ولي معاوية الخلافة ولى المغيرة الكوفة فمات بها. (ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري) ت (230هـ/844م): **الطبقات الكبير**، ج8، ط1 (القاهرة، مكتبة الخانجي، 2001م)، ص143).

[3] الطبري: **الرسل والملوك**، ج5، ص184.

[4] ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الواحد الشيباني) ت (630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، ج3، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م)، ص288.

[5] لمزيد من التفاصيل انظر الطبري: **الرسل**، ص181- ص209.

[6] بتراء: هو كل أمر انقطع من الخير أثره؛ وخطبة بتراء: إذا لم يذكر الله تعالى فيها ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسميت خطبة زياد بالبتراء لأنه لم يحمد الله تعالى فيها. (ابن منظور (محمد بن مكرم بن أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري) ت (711هـ/1311م): **لسان العرب**، ج4، ط3 (بيروت، دار صادر، 1993م)، ص37.

ولّى معاوية بن أبي سفيان زياد البصرة سنة 45هـ فقدمها والفسق فاشٍ فيها فجمع الناس وخطب فيهم خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل بدأ فحمد الله ثم قال:" أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغيّ[7] الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا ينحاش عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول؛ أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبقوا إليه من تركككم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير[8] المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ، ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار! قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتُغطّون على المختلس، كل امرئ منكم يذبّ عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عقابًا، ولا يرجو معادًا؛ ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حُرم الإسلام[9]، ثم أطرقوا وراءكم كنوسًا [10]في مكانس الريب ؛ حرامٌ عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا؛ إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، وشدّة في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذنّ الولي بالمولى[11]، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم[12]؛ إن كذبة المنبر بَلْقاءُ مشهورة، فإذا تعلّقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي،

---

[7] الغي: وادٍ في جهنم، وقيل نهر، وهذا جدير أن يكون نهر أعده الله للغاوين سماه غيّا. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص143).

[8] المواخير: كانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت وأهل العراق يسمونها المواخير واحدها حانوت وماخور. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج14، ص205).

[9] حُرَم الإسلام: ما لا يحل انتهاكه، وروى الشعبي أن زيادًا ليلة خطبته للبتراء يتحارسون فقال: ما هذا؟ قالوا: إن البلد مفتون وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق فيقال لها: نادي ثلاثة أصوات فإن أجابك أحد وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع. (الطبري، **الرسل**، ج5، ص219).

[10] كنوس: جمع كانس أي مستتر وأصله من الظبي إذا دخل كناسه. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص219).

[11] الولي بالمولى: لها معانٍ كثيرة وربما أرادها جميعا: السيد بعبده، ابن العم بابن عمه، القريب بقريبه، والجار بجاره، والشريك بشريكه والحليف بحليفه والرجل بصهره. (غازي طليمات: **النثر**، ص103).

[12] القناة: هي الآبار التي تحفر في الأرض متتابعة ليستخرج منها الماء ويسبح على وجه الأرض. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص204)؛ وقيل القناة: كل عصا مستوية فهي قناة، وقيل: كل عصا مستوية أو معوجة فهي قناة. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص203).

فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها[13] فيّ واعلموا أن عندي أمثالها؛ من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له؛ إياي ودَلَج [14] الليل، فإني لا أوتى بمدلِج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخير الكوفة ويرجع إليّ، وإياي ودعوى الجاهلية فإني لا آخذ داعيًا بها إلا قطعت لسانه؛ وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرَّق قومًا غرّقته، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومن نقب بيتًا نقبت عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفنته فيه حيّا، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يداي وأذاي، لا يظهرن من أحدٍ منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه."[15]

وبالتنقيب في الروايات التاريخية عن سبب انتشار الفسق في البصرة في ذلك الوقت هو ضعف سياسة ابن عامر الذي ولي البصرة قبل زياد فقد كان عبد الله بن عامر رجلًا لينًا كريمًا لا يأخذ على أيدي السفهاء ففسدت البصرة حتى أنه شكا ذات يوم لزياد فساد الناس وظهور الخبث فقال له زياد: جرّد فيهم السيف فقال له: إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي؛ وكان ابن عامر لا يعاقب في سلطانه ولا يقطع يد لص لكراهيته أن ينظر إلى رجل قُطعت يد أخيه أو أبيه.[16]

لذلك نجد زياد بدأ خطبته بداية عنيفة انقض فيها على أهل البصرة انقضاض الصاعقة الماحقة ثم بدأ يرسم خطوط السياسة التي يود أن يسوس بها أهل المصر فإذا هي يسير من الرحمة وكثير من النقمة تميل عن الترغيب إلى الترهيب وتقدم العقوبة على المثوبة وتصب حمم الغضب على المذنب والبريء لكي تجتث الشر من جذوره.[17] فيقول زياد في خطبته: حرام عليّ الطعام والشراب حتى أفعل كذا وكذا ثم يقسم أنه سيأخذ المطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر إلى غيره من التهديد والوعيد.

وقد **ذكرت الروايات التاريخية** أنه نفّذ تهديده ووعيده وفعل ذلك حيث أمهل الناس فترة مقدارها أن يبلغ الخبر الكوفة ويعود إليه وأن يعرف الجميع أنه منع الخروج بعد صلاة العشاء، وكان صاحب شرطته إذا رأى إنسانًا بعدها قتله، وفي ليلة أُتي بأعرابي إلى زياد

---

[13] اغتمزوها: عدوها في عيوبي، واغتمزه: طعن عليه. (أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ج2، دط (بيروت، المكتبة العلمية، دت)، ص272).

[14] دلَج الليل: السير من أول الليل. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص218).

[15] الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء) ت (255هـ/868م): **البيان والتبيين**، ج3، دط (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2002م)، ص40- ص43؛ الطبري: **الرسل**، ج5، ص218،219؛ ابن عبدربه: **العقد الفريد**: ج4، ص199،200.
ملحوظة: وردت هذه الخطبة في كتاب **عيون الأخبار** لابن قتيبة ولكن مختصرة ومقسمة بها كثير من الحذف واختلاف في بعض العبارات التي لا تخل بالمعنى.

[16] الطبري: **الرسل**، ج5، ص212.

[17] غازي: **النثر**، ص103.

فقال له الأعرابي: والله ما سمعت النداء، قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها إلى موضع فأقمت به لأصبح ولا علم لي بما كان من الأمير فقال زياد: أظنك والله صادقًا ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة، ثم أمر به فضربت عنقه.[18]

وكما هو معلوم أن زياد أعلن على الملأ ضروبًا من العقاب مروعة، لكن كل ضرب من جنس الذنب، فلا تستطيع إلا أن تتغمّد قسوته بالعذر؛ لأن الغاية من نشر الذعر ضمان الأمان.[19]

وبالتالي نجد أن زياد كان ينفذ في سياسته كل ما ورد في خطبته البتراء الشهيرة التي خلدها التاريخ وهو ما أكّد عليه في قوله " إن كذبة النبر بلقاء مشهورة فإن تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي" فكأنه يشرح لهم أن منبر الإعلام الذي يتمثل في خطبة الأمير واضحة ومشهورة ومعلومة، فإن قلت على منبري كلمة فاعلموا أني سأنفذها وإن لم أفعل فحلال لكم معصيتي.

ويؤكد هذا قول الشعبي: "والله ما تعلقنا عليه بكذبة وما وعدنا خيرًا ولا شرًا إلا أنفذه".[20]

يواصل زياد خطبته فيقول:" وقد كان بيني وبين أقوامٍ إحن[21]، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنًا فليزداد إحسانًا ومن كان مسيئًا فلينزع عن إساءته؛ إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعًا ولم أهتك له سترًا حتى يُبدي لي صفحته، فإن فعل لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس؛ أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة[22]، وعنكم ذادة[23]، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا[24]، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما وُلّينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا أنّي مهما قصّرت عنه فإني لا أقصّر في ثلاث: لست محتجبًا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقًا بليل، ولا حابسًا رزقًا ولا عطاءً عن إبّانه[25]، ولا مجمّرا[26] لكم بعثًا؛

---

[18] الطبري: **الرسل**، ج5، ص222.

[19] غازي: **النثر**، ص103.

[20] الطبري: **الرسل**، ج5، ص235.

[21] إحن: جمع إحنة، والإحنة: الحقد في الصدر. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج13، ص8).

[22] ساسة: ساس الأمر سياسة: قام به؛ والسَّوس: الرياسة. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص108).

[23] ذادة: الذود هو السَّوق والطرد والدفع؛ تقول رجل ذائد يعني أنه حامي الحقيقة دفّاع. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص167).

[24] فيء الله الذي خولنا: الفيء: ما كان شمسًا فينسخه الظل؛ وخولنا: ملكنا، والمقصود من الجملة أي ندفع عنكم بظل الله ونعمته التي وهبنا أو ندفع عنكم بما صار في أيدينا من أموال الخراج. (أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب** ، ج2، ص273).

[25] إبانه: وقته وموعده. (زكي: **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص273).

[26] مجمرًا: تجمير الجند يعني أن يحبسهم في أرض العدو ويمنعهم عن العودة إلى أهلهم. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص220).

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفُكم الذي إليه تأوون ومتى تَصلحوا يصلحوا؛ ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظُكم، ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم كان شرًا لكم؛ أسأل الله أن يعين كلًا على كلّ، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله[27] وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي".[28]

نجد أن نبرة زياد في هذا الجزء قد هدأت ولعله أبصر الازدجار في عيون الناس، فكفّ عن الزَّأر والتهديد، وأخذ يذكر القوم بما عليهم من الطاعة للحاكم، وواثقهم على أن يكافيء الطاعة بالعدل، ويفتح بابه للمظلوم، ويتقبل الصلح، ويلتزم الحكم بالشورى.[29]

وتروي الروايات التاريخية أن زيادًا أول من سدد أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، بعد أن كادت البصرة خاصة تخرج عن حدّ الضبط، وتخرج بخروجها الملك كله؛ فتقدم زياد في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظنّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس خوفًا شديدًا، حتى أمن الناس بعضهم بعضا، وحتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة لا تغلق عليها بابها؛ وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحدًا قبله، وأدرّ العطاء.[30]

وبالربط بين ما ورد في الروايات التاريخية والوثائق الأدبية نجد أننا أمام سياسي بارع قدّم مصلحة الحاكم والمحكوم على مصلحته ورسم سياسة واضحة المعالم شرح تفاصيلها من خلال خطبته ووثقها وخلّد كلماتها من خلال التزامه بما ألزم به نفسه وكانت الأحداث التاريخية خير شاهد.

وخلاصة القول: أن خطبة البتراء قد نالت شهرة واسعة في العلوم الثلاثة محل بحثي وهي: التاريخ، والأدب، والسياسة؛ حيث تناولها المؤرخون بالتحليل لتكون وثيقة شاهدة وصانعة لأحداث سياسية مهمة كانت بمثابة دعائم ارتكز عليها توطيد الحكم الأموي؛ كذلك تناولها الأدباء حفظًا ودراسةً وتدقيقًا لما فيها من فصاحة في البيان وجزالة في الألفاظ، وصدقًا في

---

[27] على أذلاله: أي على طرق وجوهه. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص221).

[28] الجاحظ: **البيان**، ج3، ص41،42؛ الطبري: **الرسل**، ج5، ص220،221؛ ابن عبدربه: **العقد الفريد**، ج4، ص200؛ القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري) ت (821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج1، دط (بيروت، دار الكتب العلمية، دت)، ص91.

[29] غازي: **النثر**، ص104.

[30] ابن مسكويه (أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي) ت (421هـ/1030م): **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ج2، ط2 (طهران، دار سروش للطباعة والنشر، 2000م)، ص18،19.

المشاعر؛ وتناولها علماء السياسة لما فيها من سياسة قوية تصلح لكل العصور قائمة على العدل والإنصاف للمحكوم والسمع والطاعة للحاكم.

ثالثًا: خطبة زياد بن أبي سفيان والي البصرة والكوفة سنة (51هـ/671م) بشأن حجر بن عدي[31] وأصحابه.

بلغ زياد وهو بالبصرة أن حُجْرًا يجتمع إليه شيعة عليّ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه، فشخص زياد إلى الكوفة وصعد المنبر – وحجر جالس في المسجد حوله أصحابه – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال" أما بعد، فإن غِبَّ[32] البغي والغي[33] وخيم[34]، إن هؤلاء جمّوا[35]فأشروا[36]، وأمنوني فاجترأوا عليّ، وأيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم؛ وقال: ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر وأدَعْه نكالًا لمن بعده! ويلُ أمّك يا حجر! سقط العشاء بك على سِرْحان، ثم قال:

أَبلغْ نُصيحَة أنّ راعي إبْلِها سقط العشاءُ به على سِرْحان[37]".[38]

وتذكر الروايات التاريخية أن حجرًا كان لا يدع واليًا يذم عليًّا على منبر الكوفة، وكان إذا سمع المغيرة يذم عليًّا قال: وأنا أشهد أن من تذمّون وتعيّرون لأحق بالفضل، وأن من تزكّون وتُطْرون أولى بالذم فيقول المغيرة: يا حُجْر ويحك! اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحيانًا مما يُهلِك أمثالك كثيرًا، ثم يكفّ عنه ويصفح، فلما جُمعت لزياد البصرة والكوفة وخطب بالكوفة، ذمّ قتلة عثمان ولعنهم، فقام حجر ففعل مثل ما كان يفعل بالمغيرة.[39] فدعاه زياد وقال له: تعلم أعرفك وقد كنت أنا وإياك على ما قد علمت – يعني من حب عليّ بن أبي طالب – وإنه قد جاء غير ذلك، فاملك عليك لسانك

---

[31] حجر بن عدي: هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كنْديّ، أبوه عدي الأدبر، طعن موليًا فسمى الأدبر، شهد حجر القادسية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أصحاب علي بن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين. (ابن سعد: **الطبقات**، ج8، ص337).

[32] غب الأمر ومغبته: عاقبته وآخره. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج1، ص634).

[33] الغي: الضلال والخيبة. (ابن منظور: **لسان العرب**، 15، ص140).

[34] وخيم: ثقيل. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص631).

[35] جمّوا: اجتمعوا. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص256).

[36] الأشر: المرح والبطر. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص20).

[37] سقط العشاء به على سرحان: المقصود هلاكه، وهو مثل أصله أن رجلًا خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله، يضرب المثل في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى التلف. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص256).

[38] الطبري: **الرسل**، ج5، ص256؛ ابن كثير: **البداية**، ج8، ص51.

[39] ابن كثير: **البداية**، ج8، ص51.

وليسعك بيتك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لديّ، فاكفني نفسك، وإياك وهؤلاء السفهاء فإنك لو هُنت عليّ أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي.[40]

ولما أراد زياد أن ينصرف من الكوفة إلى البصرة قال لحجر:" قد بلغني أنك تلقح الفتن، ولو صح ذلك عندي لم أبرح حتى أقتلك فاتق الله في نفسك فوالله لئن أفرغت من دمك قطرة لآتين على آخره، وقد أعذر من أنذر، وقد ناديتك وناجيتك، فقال حجر: أبلغت، دون هذا يكفيني أيها الأمير.[41]

فلما رجع زياد البصرة وولى الكوفة عمرو بن الحريث[42] ليكون عاملًا عليها في غيابه، بلغه أن حجرًا يجتمع إلى شيعة عليّ ويلعنون معاوية وأنهم حصبوا عامله عمرو فأتى الكوفة وكانت هذه الخطبة ثم كتب زياد إلى معاوية في أمر حجر فرد معاوية أن شدّه في الحديد ثم احمله إليّ ففعل زياد وشدّه في الحديد وحمله إلى معاوية فضرب عنقه.[43]

وبمقارنة ما ورد في الروايات التاريخية مع الوثيقة الأدبية، المتمثلة في خطبة زياد نجد أن الخطبة قد وثقت سياسة زياد، حيث بدأ خطبته كعادته بداية عنيفة، شرح فيها أن عاقبة الضلال وخيمة، ووضح للعامة أن حجرًا وأصحابه اجترأوا عليه بعدما أخذ عليهم العهد والأمان، لذلك قد آن الأوان لهلاكهم، وجعلهم عبرة لمن بعدهم، ثم يسجل التاريخ تنفيذ ما وعد به زياد في خطبته، فينال حجر ما توعده به زياد، ويشد في الحديد، ويحمل إلى معاوية فتضرب عنقه.

رابعًا: خطبة النعمان بن بشير والي الكوفة في عهد يزيد بن معاوية سنة (60هـ/679م).

حين قدم مسلم بن عقيل الكوفة لأخذ البيعة لابن عمه الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلم بذلك النعمان بن بشير صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيها يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال، إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا آخذكم

---

[40] ابن سعد: **الطبقات**، ج8، ص237،238.

[41] البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر بن داود) ت (279هـ/892م): **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكا ورياض الزركلي، ج5، ط1 (بيروت، دار الفكر، 1996م)، ص245.

[42] عمرو بن الحريث: هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أشراف الكوفة، بنى بها دارًا عظيمة قريبًا من المسجد والسوق، وأصاب مالًا عظيمًا، وولي الكوفة لزياد بن أبي سفيان وعبيدالله بن زياد. (ابن سعد: **الطبقات**، ج6، ص534،535).

[43] الطبري: **الرسل**، ج5، ص256،257.

بالظنة، ولكن والله الذي لا اله إلا هو لئن فارقتم إمامكم، ونكثتم بيعته لأقاتلنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي؛ فقام إليه رجل يقال له عبدالله بن مسلم بن شعبة الحضرمي – وكان حليفًا لبني أمية – فقال: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين، فقال النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون من الأقوياء الأعزين في معصيته" ثم نزل.[44]

وتُرجع الروايات التاريخية سبب هذه الخطبة إلى اجتماع معظم أهل الكوفة حول مسلم بن عقيل لمبايعته على إمرة الحسين بن علي عقب وفاة معاوية وتولي ابنه يزيد، ولما انتشر خبر مبايعة الحسين بالكوفة وبلغ ذلك النعمان جعل يضرب عن ذلك صفحًا، ولا يعبأ به، واقتصر على خطابه في الناس ونهيهم عن الإختلاف والفرقة.[45] وكانت هذه آخر خطبة للنعمان واليًا؛ حيث أرسل الناس رسائل ليزيد بن معاوية وأخبروه عن ضعفه وما حدث في إمرته من مبايعة الناس لمسلم.[46]

وبالربط بين الخطبة وما ورد في المصادر التاريخية نجد أن الخطبة وثّقت وشرحت سياسة النعمان، فلطالما أوضحت لنا الخطب الأدبية السياسية ملامح سياسة الوالي، وأكدت هذه الخطبة أن الولاة في العصر الأموي لم يسلكوا منهجًا سياسيًا واحدًا، فمنهم القوي الذي ساس الناس بالقسوة والشدّة، ومنهم الضعيف الذي اتسمت سياسته باللين، وكشفت هذه الخطبة مع الأحداث التاريخية أن أهل الكوفة كانوا إذا أمنوا الجانب حلّت بينهم الفوضى، وأن سياسة اللين لم تكن تجدي معهم ،بينما سياسة الشدّة كانت تضبطهم.

خامسًا: خطب عبيدالله بن زياد والي البصرة والكوفة ليزيد بن معاوية سنة (60هـ/679م).

1-خطبته بالبصرة:

أرسل يزيد بن معاوية كتابًا لعبيدالله بن زياد يتضمن ضمّ الكوفة إلى ولايته مع البصرة فصعد عبيد الله المنبر قبل مغادرته إلى الكوفة وخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:" أما

---

[44] الطبري: **الرسل**، ج5، ص356؛ النويري (أحمد بن عبدا لوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري) ت (733هـ/1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج20، ط1 (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م)، ص387؛ ابن كثير: **البداية**، ج8، ص125.

[45] ابن كثير: **البداية**، ج8، ص152.

[46] الطبري: **الرسل**، ج5، ص356.

بعد، فوالله ما تُقْرنَ بي الصّعبة، ولا يُقعقَع لي بالشّنان[47]، وإني لَنِكْلٌ[48] لمن عاداني، وسَمٌّ لمن حاربني، أنصف القارة مَن راماها[49]؛ يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين ولّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف[50]، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطيء الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.[51]

2-خطبته بالكوفة:

لما قدم الكوفة ونزل بالقصر نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج عبيدالله بن زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

" أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وثغركم[52]، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبيء لا الوعيد[53]؛ ثم نزل.[54]

3-خطبته وهو يطلب مسلم بن عقيل حال هروبه:

---

[47] يقعقع لي بالشنان: في المثل: فلان لا يقعقع له بالشنان: أي لا يُخدَع ولا يُرَوَّع. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص286).

[48] نكل: يقال إنه لنكل شر: أي ينكل بأعدائه. (الطبري: **الرسل**، ج5، ص358).

[49] أنصف القارة من راماها: مَثل وأصله أن رجلًا من جهينة رمى رجلًا من القارة – وهم بنو الهون بن خزيمة بن مضر- فقتله، فرمى رجل من القارة رجلًا من جهينة، وكان القارة فيما يذكرون أرمى حيّ في العرب، فقال قائلهم: قد أنصف القارة من راماها فأصبحت مثلًا. (الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم) ت (168هـ/784م): **أمثال العرب**، تحقيق: احسان عباس، ط1 (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2003م)، ص85).

[50] الإرجاف: كثرة الكلام؛ أرجف الرجل: أي اشتد كلامه. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص564).

[51] الطبري: **الرسل**، ج5، ص358؛ ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله) ت (654هـ/ 1256م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ج8، ط1 (دمشق، دار الرسالة العالمية، 2013م)، ص31،32.

[52] الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان. الطبري: **الرسل**، ج5، ص358. وسميت فروج لأنها غير مسدودة. (ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، ص342).

[53] الصدق ينبيء عنك لا الوعيد: مَثل يعني أن صدقك في الأمور واللقاء هو الذي يدفع عنك عدوك لا المقال من غير فعل. (القاسم بن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي) ت (224هـ/ 838م): **الأمثال**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط1 (دمشق، دار المأمون للتراث، 1980م)، ص321).

[54] الطبري: **الرسل**، ج5، ص357،358؛ أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني) ت (356هـ/967م): **مقاتل الطالبين**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دط (بيروت، دار المعرفة، دت)، ص100.

حمد الله وأثنى عليه تم قال:" أما بعد، فإن ابن عقيل السفيه الجاهل، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، يا حصين بن تميم، ثكلتك أمك إن صاح[55] باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به؛ وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غدًا واسْتَبرِ الدور وجُسْ خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل – وكان الحصين على شرطته، وهو من بني تميم – ثم نزل ابن زياد.[56]

وبالتنقيب عن أسباب هذه الخطب في المصادر التاريخية فإن ابن زياد حين أراد أن يغادر البصرة إلى الكوفة كان قد كلّف من قبل يزيد بن معاوية بضم الكوفة له مع البصرة ،حيث كان مسلم بن عقيل يدعوا الناس يالكوفة لبيعة الحسين بن علي؛ لذلك أمر يزيد ابن زياد أن يتوجه إلى الكوفة ويقبض على مسلم ويُوثقَه أو يقتله أو ينفيه، وحين عزم ابن زياد على الخروج إلى الكوفة بلغه أن الحسين بعث إلى أشرف البصرة ووجوههم برسالة يدعوهم فيها إلى بيعته، ورغم كتمان أشراف البصرة للأمر إلا أن أحدهم خشي أن يكون رسول الحسين دسيسًا من قبل عبيد الله بن زياد فجاء ابن زياد بالرسول وأقرأه الرسالة فقدم ابن زياد الرسول وضرب عنقه ثم صعد المنبر وخطب في البصرة قبل أن يغادر إلى الكوفة.[57] ولما كان في اليوم التالي قدم الكوفة وبدأ ولايته بخطبة يحث الناس فيها على طاعته، ويعدهم بالإحسان لكل من أطاعه، والوعيد لكل من عصاه، ثم جعل يطلب مسلم بن عقيل طلبًا حثيثًا وكان مسلم قد جمع ثمانية عشر ألف مبايع وذهب بهم إلى قصر الإمارة ولكن ابن زياد استطاع من خلال أشراف أهل الكوفة أن يفضّ الناس من حوله حتى بقي مسلم وحيدًا فتوارى في بيت امرأة أسرّت لإبنها بأمره.[58]

صعد ابن زياد المنبر وطلب مسلم وحثّ على طلبه وذكر أن من وجد عنده ولم يُخبر به فدمه هدر، وجعل ديته جائزة لمن جاء به وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم[59]، فلما

---

[55] صاح: شق، والمراد: فتح باب سكة وهرب. (أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص40).

[56] الطبري: **الرسل**، ج5، ص372،373.

[57] الطبري: **الرسل**، ج5، ص357،358؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج3، ص387،388.

[58] ابن الأثير: **الكامل**، ج3، ص394.

[59] ابن كثير: **البداية**، ج8، ص155.

أصبح ابن تلك المرأة – التي آوت مسلم في دارها – دلّ على مكانه فبعث ابن زياد بالرجال الذين أتوا به إليه فأصعده إلى أعلى القصر وضربت عنقه.[60]

وبمقارنة النصوص الأدبية بالروايات التاريخية نجد أن الروايات التاريخية كشفت عن أسباب خطب عبيدالله بن زياد أثناء مغادرته البصرة وعن معالم سياسته التي تشبه إلى حد كبير سياسة أبيه زياد في القوة والفصاحة والشدة.

الخاتمة

. كشفت الدراسة أن ربط الوثيقة الأدبية بالرواية التاريخية والمقارنة بينهما يضع كل خبر في نصابه الصحيح حيث أنه الميزان الذي يكشف عن الخبر الصحيح الموثوق والخبر الضعيف الموضوع.

. سجلت الخطب الأدبية السياسية الأحداث التاريخية بطرق شتى إما تأييدًا لسلوك الولاة أو ثورة عليهم أو انعكاس الحياة السياسية على مكنون عواطفهم ومشاعرهم.

. أكدت الخطب السياسية أنها سلطة لا يستهان بها تؤثر إيجابًا وسلبًا على مجريات الأحداث التاريخية.

. تميزت الخطب السياسية في العصر الأموي بدرجة عالية من الإقناع القائم على الحجج والبراهين المسوغة والمبررة لصناعة الأحداث التاريخية.

[60] أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب**، ج2، ص40.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

1- ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الواحد الشيباني) ت (630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م).

2- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني) ت (356هـ/967م): **مقاتل الطالبين**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دط (بيروت، دار المعرفة، دت).

3- البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر بن داود) ت (279هـ/892م): **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكا ورياض الزركلي، ط1 (بيروت، دار الفكر، 1996م).

4- البكري الأندلسي (عبدا لله بن عبد العزيز بن محمد) ت (487هـ/1094م): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3(بيروت، عالم الكتب، 1982م).

5- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء) ت (255هـ/868م): **البيان والتبيين**، دط (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2002م)

6- ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله) ت (654هـ/1256م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ط1 (دمشق، دار الرسالة العالمية، 2013م).

7- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري) ت (230هـ/844م): **الطبقات الكبير**، ط1 (القاهرة، مكتبة الخانجي، 2001م)،

8- الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم) ت (168هـ/784م): **أمثال العرب**، تحقيق: احسان عباس، ط1 (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2003م).

9- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن غالب) ت (310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4(القاهرة، دار المعارف، 1977م).

10- ابن عبدربه الأندلسي (أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد) ت (328هـ/940م): **العقد الفريد**، ط1(بيروت، دار الكتب العلمية، 1984م).

11- القاسم بن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي) ت (224هـ/ 838م): **الأمثال**، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط1 (دمشق، دار المأمون للتراث، 1980م).

12- القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري) ت (821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دط (بيروت، دار الكتب العلمية، دت).

13- ابن قتيبة (أبو محمد بن مسلم الدينوري) ت (276هـ/889م): **عيون الأخبار**، دط (بيروت، دار الكتب العلمية ،1997م).

14- ابن كثير (أبو الفدا الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي) ت (774هـ/1372م): **البداية والنهاية**، تحقيق: هيئة بإشراف الناشر، ط6(بيروت، مكتبة المعارف، 1985م).

15- ابن مسكويه (أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي) ت (421هـ/1030م): **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط2 (طهران، دار سروش للطباعة والنشر، 2000م).

16- ابن منظور (محمد بن مكرم بن أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري) ت (711هـ/1311م): **لسان العرب**، ط3 (بيروت، دار صادر، 1993م).

17- النويري (أحمد بن عبدا لوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري) ت (733هـ/1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج20، ط1 (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002م)

ثانيًا: المراجع:

18- أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة**، د ط (بيروت، المكتبة العلمية، دت).

19- غازي طليمات وعرفان الأشقر: **النثر في العصر الأموي**، ط1(دمشق، دار الفكر، 2010م).